﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾

قال ابن عباس ﷺ : يؤتون الزكاة احتساباً لها .

وقال الضحاك رحمه الله : كانت النفقات قرباناً يتقربون بها إلى الله على قدر ميسورهم وجُهدهم ، حتى نزلت فرائض الصدقات ؛ سبعُ آيات في سورة براءَة مما يذكر فيهن الصدقاتُ ، هُنَّ المُثبتاتُ الناسخات .

وقال ابن عباس أيضاً ، وكذا قال ابن مسعود ، وناسٌ من أصحاب النبي ﷺ قالوا : هي نفقة الرجل على أهله ، وهذا من قبل أن تنزل الزكاة [1] .

وهنا جمع الله جل وعلا بين الصلاة والزكاة في هذه الآية : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ كما جمع بينهما في آيات أخرى ؛ منها قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ؛ فها نحن نراه سبحانه وتعالى في نص القرآن العظيم يجمع بين الصلاة والزكاة ؛ وهنا يقول الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله تبارك وتعالى بأن في ذلك حكمة ؛ وهي أنَّ الصلاة صلة بينك وبين خالقك سبحانه وتعالى ، والزكاة والصدقة هي صلة بينك وبين المخلوقين ، فإذا أديت الصلاة والزكاة فقد أحسنت صلتك بالله وصلتك بعباد الله تبارك وتعالى.

---

(١) انظر هذه الأقوال في " تفسير الطبري" (١/ ٢٤٩ ، ٢٥٠) ، وابن كثير (١/ ١٨٦) ، والدر المنثور (١/ ٢٧) .

ولهذا استحب العلماء رحمهم الله تبارك وتعالى إذا جاء المسلم لأداء الصلاة في المسجد أن يتصدَّق ، حتى يجمع بين الأجرين وبين الفضلين .

وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ أنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ كان عنده غلامٌ يقرأ في المصحف ، وعنده أصحابه ، فجاء رجلٌ يقال له حَضْرمةُ ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ! أيُّ درجات الإسلامِ أفضلُ ؟ قال : الصلاة . قال : ثم أي ؟ قال : الزكاة [1] .

(فقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾ أي : أعطيناهم ﴿ يُنفِقُونَ ﴾ أي : والذين يُنفقون بعض مالهم الذي رزقهم الله تعالى وأعطاهم في وجوه الخير والبر ، في طاعته تعالى وسبيله ، ويدخل في ذلك إنفاق المندوب ، وهو صدقة التطوع ، وإنفاق الواجب ، كالزكاة والنذر .

والإنفاق المحمود : الإنفاق في الجهاد في سبيل الله تعالى ، وفي سبيل المشروعات الخيرية : كعمارة المساجد ، والمدارس والمستشفيات ، ونحوها مما هو في سبيل الله ، ولينتبه إلى أن إدخال "من " التبعيضية لصيانة الناس عن التبذير المنهي عنه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ [2] : أي : ولا تسرفوا إسرافاً ، وما أحسن قول من قال ، وما أصدقه :

---

(١) قال المنذري في "الترغيب" (١١١٥) : رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به . وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٣/ ٦٨) : "رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون " .

(٢) الإسراء : ٢٦ .

إذا ملكتْ كَفِّي منالاً ولم أنل فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي
على الله إخلاف الذي قد بذلته فلا مُتلفي بذلي ولا مُسْعِدي بخلي
أروني بخيلاً طال عمراً ببخله وهاتوا كريماً ماتَ مِنْ كثرة البذل)[1]

وقد ورد في نصوص الوحي المطهَّر نصوصٌ كثيرة تدعو للإنفاق والبذل في سبيل الله تعالى ، سواء كانت هذه النفقات عامةً ، أم أنها زكاة ، أم أنها على الأهل والأقارب ، وإليك بعض هذه النصوص :

أولاً : من القرآن الكريم :

١- قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] .

٢- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] .

٣- ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[4] .

---

(١) نور الإيمان ص ٤٥ ، بتصرف يسير .

(٢) البقرة : ٢٥٤ .

(٣) البقرة : ٢٦١ .

(٤) التوبة : ١٠٣ .

٤ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[1] .

٥ - ﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2] .

٦ - ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3] .

٧ - ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[4] .

٨ - ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[5] .

٩ - ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[6] .

---

(١) البقرة : ٢٦٧ .

(٢) البقرة : ١٩٥ .

(٣) البقرة : ٢٤٥ .

(٤) المعارج : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٥) الحديد : ٧ .

(٦) التوبة : ٦٠ .

١٠ - ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[١] .

١١ - ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾[٢] .

ثانياً : من السنة :

(أ) ـ في الزكاة المفروضة :

عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (خمسٌ من جاء بهنَّ مع إيمانٍ دخل الجنة : مَنْ حافظ على الصلوات الخمس ؛ على وضوئهن وركوعهنَّ وسجودهنَّ ومواقيتهنَّ ، وصام رمضان ، وحجَّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً ، وأعطى الزكاة طيبة بها نفسه)[٣] .

وعن الحسن ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (حَصِّنُوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصَّدقة ، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرُّع)[٤] .

---

(١) البقرة : ٢١٥ .

(٢) الحديد : ١١ .

(٣) قال المنذري في "الترغيب" (١٠٩٥) : " رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد " . وكذا قال الهيثمي في " مجمع الزوائد " (١/ ٤٧) .

(٤) حديثٌ حسن ، قاله محققو الترغيب (١١٠٢) .ط ابن كثير ، رواه أبو داود في " المراسيل " (١٠٥) ، والطبراني في "الأوسط " (١٩٦٣) و "الكبير" من حديث عبد الله ابن مسعود ، والبيهقي في "الشعب" (٣٥٥٧) من حديث أبي أمامة ﷺ .

وعن عبد الله بن معاوية الغاضِرِيِّ ﷺ ـ من غَاضِرَةِ قيسٍ ـ قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثٌ مَن فَعَلهُنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان : من عَبَدَ الله وحده ، وعلم أن لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبةً بها نفسُهُ رافدةً عليه كلَّ عامٍ ولم يُعْطِ الهَرِمَةَ ، ولا الدَّرِنَةَ ، ولا المريضة ، ولا الشَّرَطَ اللئيمَةَ ، ولكن من وسط أموالكم ، فإن الله لم يسألكم خَيْرَه ولم يأمُرْ بشَرِّهِ)[١] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال : (أُمرنا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يزكِ فلا صلاة له)[٢] .

وعن عليِّ بن أبي طالب ﷺ قال : (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وشاهده ، وكاتبه ، والواشمه والمستوشمه ، ومانعَ الصدقة ، والمحلِّلَ والمحلَّلَ له)[٣] .

وعن بُريدة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما منع قومٌ الزكاةَ إلا ابتلاهم الله بالسنين)[٤] .

---

(١) حديثٌ حسن ، قاله محققو الترغيب (١١١١) ، رواه أبو داود (١٥٨٢) وقوله "رافدةً عليه" : من الرفد ، وهو الإعانة ومعناه : أنه يعطي الزكاة ونفسه تعينه على أدائها بطيبها وعدم حديثها له بالمنع . "والشَرَط" : هي الرذيلة من المال كالمُسِنَّة والعجفاء ونحوهما . "والدَّرنة" : الجرباء .

(٢) قال المنذري في الترغيب (١١٢٤) : رواه الطبراني في الكبير موقوفاً هكذا بأسانيد أحدها صحيح . وكذا قال : الهيثمي في المجمع (٣/ ٦٢). ورواه الأصبهاني في "الترغيب والترهيب" (١٠١٨).

(٣) رواه أحمد (٦٦٠ ، ٦٧١) ، والأصبهاني في الترغيب (١٣٨١) ، والنسائي (٨/ ١٤٧) ، رقم (٥١٠٣) . وقال محققو المسند : حسن لغيره .

(٤) قال المنذري في الترغيب (١١٣٤) : رواه الطبراني في الأوسط ، ورواته ثقات ، والحاكم (٢/ ١٢٦) ، والبيهقي في سننه (٣/ ٣٤٦) في حديث ؛ إلا أنهما قالا : "ولا منع قومٌ الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر" وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم . أ . هـ .

(بـ) في النفقة على الأهل والعيال :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار تصدَّقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً : الذي أنفقته على أهلك) [١] .

وعن سلمان بن عامر ﷺ عن النبي ﷺ قال : (الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذوي الرحم ثنتان : صدقة وصلة) [٢] .

وعن حكيم بن حزام ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الصدقات ؛ أيها أفضل ؟ فقال : (على ذي الرحم الكاشح) [٣] .

وعن جرير بن عبد الله البجَلي قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه ، فيسأله فضلاً أعطاه الله إياه فيبخل عليه إلا أخرج الله له من جهنم حيَّة يقال لها : شُجَاعٌ ؛ يتلمَّظ فيطوقه به) [٤] .

---

(١) رواه مسلم (٩٩٥) .

(٢) رواه النسائي (٢٥٨٢) ، والترمذي (٦٥٨) وحسَّنه ، وابن خزيمة (٢٣٨٥) ، وابن حبان (٣٣٣٣) ، والحاكم (١/ ٤٠٧) وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه أحمد (٣/ ٤٠٢) ، والطبراني ، وقال في "الترغيب " (١٣١١) : وإسناد أحمد حسن . [والكاشح] : المضمر العداوة في باطنه .

(٤) قال المنذري في الترغيب (١٣١٦) : رواه الطبراني في " الأوسط " (٥٥٩٣) و " الكبير " بإسناد جيد . أ .هـ وكذا قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٤) ، والتلمُّظ : تطَعُّم ما يبقى في الفم من آثار الطعام .

يبخل على قريبه ، ويعطي الفقراء والمساكين من غير أقاربه ، وهذه صورة واقعة في مجتمعاتنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فإذا جاءه الفقير من أي مكان كان أعطى بنفسٍ سخية ، وإن جاءه فقير من أقاربه اعتذر إليه ، وهذه مصيبة عظيمة لأنها تؤدي إلى تفكك المجتمعات والأسر ، وزرع البغضاء والضغينة في نفوس الناس ، فأفضل الصدقة هي الصدقة على الفقير القريب .

وروى البخاري ومسلم من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له : (وإنك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله ؛ إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك) [1] ، أي : ما تطعم به زوجتك في فمها تُؤَجر عليه ؛ رغم أنه ربما يكون على سبيل الملاعبة والتلذذ ؛ لكن فضل الله واسع .

وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة) [2] .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (اليد العليا أفضل من اليد السُّفلى ، وابدأ بمن تعول ؛ أمك وأباك ، وأختك وأخاك ، وأدناك فأدناك) [3] .

---

(١) رواه البخاري (٥٦) ، ومسلم (١٦٢٨) .

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٣١) رقم (١٧١٧٩) ، والبخاري في " الأدب المفرد " (٨٢ ، ١٩٥) ، والنسائي في " الكبرى" (٩١٨٥ ، ٩٢٠٤) . وقال المنذري : إسناده جيد .

(٣) قال المنذري في الترغيب (٢٩٢٠) : رواه الطبراني بإسناد حسن . وهو في الصحيحين وغيرهما بنحوه من حديث حكيم بن حزام . وحسَّن الهيثمي إسناده في المجمع كذلك (٣/ ١٢٠) .

وعن أبي مسعود البدري ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (إذا أنفق الرجل على أهله نفقةً وهو يحتسبها كانت له صدقةً)[1] .

وهذا الحديث يدلنا فيه النبي ﷺ إلى أهمية النية ؛ أن ينوي المسلم وهو ينفق ويشتري لأهله الطعام واللباس والشراب ؛ أن ينوي بذلك وجه الله تبارك وتعالى ، وأن ينوي بها رضى الله ، وأن يحتسبها عند الله تبارك وتعالى ، فإنه إن احتسبها كتب الله له أجرها فضلاً منه وكرماً .

(ج) في النفقة العامة (النافلة) :

وهي التي تكون للفقراء والمساكين ، ولقضاءِ حوائج المسلمين ؛ وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2] .

ويروى من حديث فاطمة بنت قيس أنها قالت : سألت أو سُئل رسول الله ﷺ عن الزكاة ، فقال : (إن في المال لحقاً سوى الزكاة) ثم تلا هذه الآية التي في البقرة : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) رواه البخاري (٥٥) ، ومسلم (١٠٠٢) ، والترمذي (١٩٦٥) .

(٢) آل عمران : ٩٢ .

﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(١) .

فليست الزكاة هي التي تجب علينا فقط ، ولكن إذا نزلت بالمسلمين مصيبة في أي بلدٍ من البلدان فاحتاجوا إلى المال ، فهو واجب حتى ولو كان الإنسان قد أدى زكاة ماله ، وقد قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(٢) وهذا وعد من الله ﷻ ؛ أن من أنفق أخلف الله ﷻ في ماله ، بل وعد ﷻ في مواضع أخرى بالمضاعفة للمنفق إلى عشرة أضعاف ، بل إلى أضعاف كثيرة أخرى .

عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال : (ما من يوم يُصبح العباد فيه إلا مَلَكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهمَّ أعط مُنفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط مُمْسِكاً تَلَفاً)(٣) .

وعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : قال الله تعالى : (أَنفِقْ أُنفِقْ عَليك ـ وقال ﷺ ـ : يدُ الله مَلأَى لا يغيضها نفقةٌ ، سَحَّاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذُ خلق السموات والأرض فإنه لم يَغِضْ ما بيده ، وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع)(٤) .

---

(١) رواه الترمذي (٦٥٤ ، ٦٥٥) في الزكاة ، وقال : هذا حديثٌ إسناده ليس بذاك .
والآية من سورة البقرة : ١٧٧ .

(٢) سبأ : ٣٩ .

(٣) رواه البخاري (١٤٤٢) ، ومسلم (١٠١٠) .

(٤) رواه البخاري (٤٦٨٤) ، ومسلم (٩٩٣) ، و "لا يغيضها" أي : لا ينقصها .

obeikandl.com

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (أيكم مال وارثه أحبُّ إليه من ماله ؟) قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه . فقال ﷺ : (فإن مالَهُ ما قدَّم ، ومال وارثه ما أخَّر)[1] .

وعنه ﷺ قال : دخل النبيُّ ﷺ على بلالٍ وعنده صُبَرٌ من تمرٍ ، فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال : أُعِدُّ ذلك لأضيافك . قال : (أما تخشى أن يكون لك دُخَانٌ في نار جهنّم ، أنفق يا بلالُ ؟ ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً)[2] .

وعنه ﷺ مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال : (لاحسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)[3] .

ماهو القدر الذي ينبغي إنفاقه ؟ وفيمَ يُنفق ؟

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في " أضواء البيان " : (﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ عبَّر في هذه الآية الكريمة بـ"من" التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله . ولم يبيِّن هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه ، والذي

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٢) ، والنسائي (٣٦١٢) .

(٢) رواه البزار (٣٦٥٣) ، وقال المنذري في الترغيب (١٣٤٩) : إسناده حسن وهو عند الطبراني في الكبير وفيه : (أما تخشى أن يفور له بخارٌ في نار جهنم) .

(٣) رواه البخاري (٧٣) ، ومسلم (٨١٥ ، ٨١٦) والمراد بالحسد : الغبطة ؛ وهي أن تتمنّى مثل ما للمغبوط ، وهذا لا بأس به ، وأمّا تمنِّي زوال النعمة عن الغير فهذا حرامٌ ، وهو الحسد المذموم شرعاً .

ينبغي إمساكه . ولكنه بيَّن في مواضع أخر أن القدر الذي ينبغي إنفاقه : هو الزائد على الحاجة وسدِّ الخلة التي لا بُدَّ منها ، وذلك كقوله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ [1] ، والمراد بالعفو : الزائد على قدر الحاجة التي لا بدَّ منها على أصحَّ التفسيرات ، وهو مذهب الجمهور . . . .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [2] . فنهاه عن البخل بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ، ونهاه عن الإسراف بقوله : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ فيتعيَّن الوسط بين الأمرين . كما بيَّنه بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [3] فيجب على المنفق أن يُفرِّق بين الجود والتبذير ، وبين البخل والاقتصاد . فالجود : غير التبذير ، والاقتصاد : غير البخل . فالمنع في محل الإعطاء مذموم . وقد نهى عنه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ والإعطاء في محل المنع مذموم أيضاً ، وقد نهى عنه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ .

وقد بيَّن الله تعالى في مواضع أخر : أنَّ الإنفاق المحمود لا يكون كذلك ، إلا إذا كان مصروفه الذي صرف فيه مما يُرضي الله . كقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ

---

(١) البقرة : ٢١٩ .

(٢) الإسراء : ٢٩ .

(٣) الفرقان : ٦٧ .

مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (١) . وصرح بأن الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة على صاحبه في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (٢) . . . . . .

فإن قيل : هذا الذي قررتم يقتضي أنَّ الإنفاق المحمود هو إنفاق مازاد على الحاجة الضرورية ، مع أن الله تعالى أثنى على قوم بالإنفاق وهم في حاجة إلى ما أنفقوا ، وذلك في قوله : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

فالظاهر في الجواب ـ والله تعالى أعلم ـ : هو ما ذكره بعض العلماء من أنَّ لكلِّ مقام مقالاً ، ففي بعض الأحوال يكون الإيثار ممنوعاً . وذلك كما إذا كانت على المنفق نفقات واجبه . كنفقة الزوجات ونحوها فتبرع بالإنفاق في غير واجب وترك الفرض لقوله ﷺ : (وابدأ بمن تعول) ، وكأن يكون لا صبر عنده عن سؤال الناس ، فينفق ماله ويرجع إلى الناس يسألهم مالهم ، فلا

---

(١) البقرة : ٢١٥ .

(٢) الأنفال : ٣٦ .

(٣) الحشر : ٩ .

يجوز لـه ذلك ، والإيثار فيما إذا كان لم يضيع نفقه واجبة ، وكان واثقاً من نفسه بالصبر والتعفُّف وعدم السؤال) . أ . هـ [1] .

(١) انظر : (أضواء البيان) (١/ ٤٥ ـ ٤٧) .

obeikandl.com

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾

هذه هي ختام صفات المتقين الواردة في الآية السابقة لهذه الآية، وهي قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾، ثم قال بعدها سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ونتحدث في هذه الصفحات عن بداية هذه الآية وهي قوله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾.

هذه الآية العظيمة تتحدث عن الإيمان، وقد افتتحت صفات المتقين أيضاً بالإيمان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ فصفات المتقين مبتدأة بالإيمان ومختتمة بالإيمان، وكذلك سورة البقرة افتتحها الله تبارك وتعالى بالإيمان، واختتمها بالإيمان في قوله: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] وهذا فيه إشارة إلى أهمية الإيمان، وإلى عظيم مكانة الإيمان، ووالله لو عرف الإنسان قيمة أو مكانة هذا الإيمان، لكان أول دعاء يدعو به الله ﷻ في صلاته وفي

---

(١) البقرة: ٢٨٥.

صيامه وفي حجه ، وفي كل مكان معظم ، وفي كل ساعةٍ معظمة ؛ لكان أول ما يطلب من الله ﷻ ؛ قبل أن يطلب منه العفو والعافية يطلب من الله ﷻ الإيمان ؛ فالإيمان هو أغلى شيء ، وأثمن شيء .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (قال ابن عباس ﷺ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ أي : يُصدِّقونك بما جئت به من الله ، وما جاء به مَن قبلك من المرسلين ، لا يفرِّقون بينهم ، ولا يجحدون ما جاءوهم به من ربهم .

وقد اختلف المفسِّرون في الموصوفين هاهنا : هل هم الموصوفون بما تقدم من قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ومَن هم ؟ على ثلاثة أقوال حكاها ابن جرير .

الأول : أن الموصوفين أولاً هم الموصوفون ثانياً ، وهم كل مؤمن ، مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم ، قاله مجاهد ، وأبو العالية ، والربيع بن أنس ، وقتادة .

والثاني : هما واحد ، وهم مؤمنو أهل الكتاب ، وعلى هذين تكون الواو عاطفة صفات على صفات ، كما قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ . . . . .

فعطف الصفات بعضها على بعض ، والموصوف واحد .

والثالث : أن الموصوفين أولاً مؤمنو العرب ، والموصوفون ثانياً بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ الآية مؤمنو أهل الكتاب ، نقله السُّدِّي في تفسيره عن ابن عباس وابن مسعود وأُناس من الصحابة ، واختاره ابن جرير ، ويُستَشْهَدُ لما قاله بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ ﴾[1] . وبقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2] .

وثبت في الصحيحين ، من حديث الشعبي عن أبي بُردَة عن أبي موسى : أن رسول الله ﷺ قال : (ثلاثة يُؤْتَوْن أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيِّه ، وآمن بي ، ورجل مملُوك أدى حَقَّ الله وحقَّ مواليه ، ورجلٌ أدَّب جاريته فأحسَنَ تأديبَها ، ثمَّ أعتقها وَتَزَوَّجها)[3] .

وأما ابن جرير فما استشهد على صحَّة ما قال إلا بمناسبةٍ ، وهي أن الله تعالى وصف في أول هذه السورة المؤمنين والكافرين ، فكما أنه صنَّف الكافرين إلى صنفين : منافقٍ وكافرٍ ، فكذلك المؤمنون صنَّفهم إلى عربيٍّ وكتابيٍّ .

---

(١) آل عمران : ١٩٩ .

(٢) القصص : ٥٢ ـ ٥٤ .

(٣) رواه البخاري (٩٧) ، ومسلم (١٥٤) .

قلت : والظاهر قول مجاهد ـ فيما رواه الثوري ، عن رجل ، عن مجاهد ـ ورواه غير واحد ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه قال : أربع آيات من أول سورة البقرة في نعت المؤمنين ، وآيتان في نعت الكافرين ، وثلاث عشرة في المنافقين ، فهذه الآيات الأربع عامَّة في كلِّ مؤمن اتَّصف بها من عربيٍّ وعجميٍّ وكتابيٍّ من إنسي وجنّي ، وليس تصح واحدة من هذه الصفات بدون الأُخرى ، بل كلُّ واحدة مستلزمة للأخرى وشرطٌ معها ، فلا يصحُّ الإيمان بالغيب وإقام الصلاة والزكاة إلا مع الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ وما جاء به مَن قبله من الرسل والإيقان بالآخرة ، كما أن هذا لايصحُّ إلا بذاك ، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بذلك ، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (١) . وقال تعالى : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم ﴾ (٣) .

---

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) العنكبوت : ٤٦ .

(٣) النساء : ٤٧ .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[1]. وأخبر تعالى عن المؤمنين كلهم بذلك فقال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2] الآية . وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾[3] . وغير ذلك من الآيات الدالة على أمر جميع المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه . لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية ، وذلك أنهم مؤمنون بما بأيديهم مفصَّلاً ، فإذا دخلوا في الإسلام ، وآمنوا به مفصَّلاً كان لهم على ذلك الأجر مرتين ، وأما غيرهم فإنما يحصل له الإيمان بما تقدَّم مجملاً .

كما جاء في الصحيح : (إذا حَدَّثكم أهل الكتاب فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم ، ولكن قولوا : آمنا بالذي أُنزل إلينا وأنزل إليكم)[4] . ولكن قد يكون إيمان كثير من العرب بالإسلام الذي بُعِثَ به محمد ﷺ أتمَّ وأكمل وأعمَّ و أشملَ من إيمان مَنْ دخل منهم في الاسلام ، فهم وإن حصل لهم أجران من

---

(١) المائدة : ٦٨ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) النساء : ١٥٢ .

(٤) رواه البخاري (٤٤٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ ، والإمام أحمد في مسنده (١٧٢٢٥) من حديث أبي نملة الأنصاري ﷺ ، وقال محققو المسند : إسناده حسن .

تلك الحيثية ، فغيرهم يحصل لـه من التصديق مـا يُنيـف ثوابـه عـلى الأجـرين اللذين حَصَلا لهم ، والله أعلم) [1] .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ ؛ الذي أنزل على النبي محمد ﷺ هو القرآن الكريم كما قـال تعـالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [2] . وقـال أيـضاً : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [3] .

وقال تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [4] .

- وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ـ يعني القرآن .

وقدَّم الله تعالى في هذه الآيـة الإيـمان بنبيـه محمـد ﷺ ، وكتابـه عـلى الإيـمان بالأنبياء السابقين وكتبهم لأمورٍ منها :

١ - أنَّ محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين .

---

(١) " تفسير ابن كثير " (١/ ١٨٧ ـ ١٩٨) ط . ابن حزم .

(٢) النساء : ١٠٥ .

(٣) النساء : ١١٣ .

(٤) القصص : ٥٢ ـ ٥٤ .

٢- ولأنَّ كتاب الله القرآن ؛ ناسخٌ لجميع الكتب السماوية ؛ لأنه آخرها ولأنه للعالمين جميعاً ؛ والكتب السابقة أنزلت على أقوامهم فقط .

٣- لأنَّ الكتبَ السابقة دخل فيها التحريف والنقص والتضييع ، وهذه حقيقة أثبتها علماءُ أهلِ الكتاب أنفسهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ ۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾(٢) .

وقال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾(٣) .

---

(١) البقرة : ٧٥ .

(٢) المائدة : ١٥ .

(٣) المائدة : ٤٨ .

من الكتب السابقة قبل القرآن :

والذي أنزل على رسل الله وأنبيائه السابقين ـ من الكتب السالفة ـ كثيرٌ ، ذكر الله منها في القرآن الكريم :

❖ صحف إبراهيم ، وصحف موسى عليهما السلام ، قال سبحانه : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (١) .

❖ توراة موسى عليه السلام ، قال سبحانه : ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) .

❖ زبور داود عليه السلام ، قال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ (٣) .

❖ إنجيل عيسى عليه السلام ، قال عز وجل : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ (٤) .

❖ ولقد ذكر الله لنا بعضاً مما في التوراة والإنجيل ؛ فقال عز وجل : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ﴾ (٥) .

---

(١) الأعلى : ١٨ ـ ١٩ .

(٢) المائدة : ٤٣ .

(٣) الإسراء : ٥٥ .

(٤) الحديد : ٢٧ .

(٥) المائدة : ٤٥ .

❖ وقوله سبحانه أيضاً : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ (١) .

❖ وقال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ (٢) .

والكتب السابقة كلها وكَلَ الله حفظها إلى مَنْ أُنزلت إليهم ؛ ولهذا وقع فيها التحريف والنقص و الزيادة ؛ وأما كتاب الله القرآن ، فهو محفوظ بحفظ الله له ، لا يدخله نقص ولا زيادة ، ولاتحريف ولا تبديل .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (٣) .

وقال جل شأنه :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤) .

---

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) النجم : ٣٦ ـ ٤١ .

(٣) الحجر : ٩ .

(٤) فصلت : ٤١ ـ ٤٢ .

وقال ﷻ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (١) .

والمطلوب منا كمسلمين ومؤمنين أن نؤمن بكل كتاب أنزله الله ﷻ إجمالاً ، وأن نؤمن بكل كتاب ذكره الله باسمه تفصيلاً ، فكما نؤمن بالقرآن نؤمن بنزول التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وصحف إبراهيم ، وصحف موسى ، وهذه هي الكتب الخمسة التي ذكرها الله لنا في كتابه مما أنزله على رسله وأنبيائه .

ولقد أمرنا الله تبارك وتعالى أن نؤمن بما أنزل إلينا وما أنزل من قبلنا ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (٢) .

فهذه الآية تبين لنا عظيم وأهمية الإيمان بالكتب ، فلا يكتمل إيمان مسلم حتى يؤمن بالتوراة وأنها كتاب من كتب الله ، فلو قال مسلم : التوراة ليست من كتب الله ، ولم ينزلها الله ، فقد كفر والعياذ بالله ﷻ ، وكذلك الإنجيل ، وكذلك الزبور .

---

(١) المائدة : ١٥ ـ ١٦ .

(٢) النساء : ١٣٦ .

ولكن يؤمن بالتوراة والإنجيل والزبور الذي أنزله الله ﷻ، وليس الموجود الآن بين أيدي الناس، فالموجود كثير منه مختلط، مختلفٌ، و مكذوب على الله تبارك وتعالى.

وقال ﷻ أيضاً: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

وهذا من أعظم الأساليب في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، إذا أردت أن تدعو إلى الله ﷻ يهوديا أو نصرانياً، فعليك أن تبين له أن الأنبياء كلهم جاؤوا بكلمةٍ واحدة، وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، وأنه يجب على المؤمن والمسلم أن يؤمن بكتب الله ﷻ كلها، وتبين له أنك كمسلم آمنت بالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى، كما أنك مؤمن بالقرآن.

وعن أبي نملة الأنصاري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقاً لم تكذّبوهم، وإن كان باطلاً لم تصدِّقوهم)[2].

---

(١) العنكبوت: ٤٦.

(٢) رواه أحمد في المسند (١٧٢٢٥) وقال محققو المسند: إسناده حسن.

وعن أبي موسى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين) وذكر منهم : (رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي) [1] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [2] .

---

(١) رواه البخاري (٩٧) ، ومسلم (١٥٤) .

(٢) القصص : ٥٢ ـ ٥٤ .

opeikandl.com